منصة رأي

"النزاهة الجمالية"

عباس داخل حسن

ان التعريف المتداول للنقد الادبي هو تفحص النص والحكم عليه ، وليس هناك اهداف للنقد تتعدى كشف ماهو أصيل وخلافه من خلال معايير الجمال بمقاربات مختلفة ، عبر التأثيل اللغوي وعبر الاختلاف الى المساءلة والتوظيف وكلما كان الناقد حاذق في قراءته الجينالوجية للعمل وحضور تمثلات المعرفة " قراءة ابستيمولوجية" دون ان تحتكر او تجزم على انها الحقيقة المطلقة . منطلقا من الهيرمينوطقيا كأحد اهم الطرق لفهم النص في تاويل الدلالات واسترجاع نية الفنان او المؤلف وقصده دون اخلال، كلما كان المتلقي اقرب الى الصواب . وان كان العبء الاول والاخير يقع على عاتق المتلقي للاجتهاد بقراءة النصوص او الاعمال الفنية قراءة كفوءة للوصول للانتشاء او اللذة الجمالية المطلوبة من خلال المنتج "العمل الابداعي " والوصول للدلالات فيه وفهمها كقوة فاعلة في اعادة بناء المعنى بالخبرة الجمالية التي لاتختلف عن اي خبرة اخرى في حياتنا اليومية وبطبيعة الحال هي مختلفة من فرد لآخر . وتسعى الخبرة الجمالية لتحقيق "الموقف الجمالي" المرجو او الوصول لاقصى فهم ممكن للأشكال الدالة التي تصنع الخلاصة وتمنحنا الاحساس بالواقع النهائي"" .

لكن للناقد مهام اضافية اخرى في وضع قدراته الدينامية في قراءة النصوص وميكازينمات البحث في اكتشاف الدلالات الاشكالية المتناقضة في حدود العمل وفضاءآته . ولايمكن باي حال من الاحوال ان يكون النقد وفق قوانين قطعية كما هو العلم . فالفن والادب حالة وجدانية خاصة يدخل العلم والمعرفة ضمن مكونها وتكوين المبدع . ان عمل الناقد نابع من الفلسفة فهو يبحث عن مكامن الجمال في العمل المنقود ويصبح مثله مثل الفيلسوف وصلاحياته التي تطالب الفنان باثبات مايقوم به هل هو عمل خير ام وسيلة الى الخير ؟ . والجمال هو الخير بعينه وقيم الخير نابعة من الجمال ذاته.

وهذا بحاجة الى احساس ينطوي على جملة من العوامل المعرفية والنفسية وبالتالي للوصول الى الفائدة واللذة التي نتوخاها من القراءة حتى في "النقود" التي نحرص على قراءتها دون انقطاع بعد قراءة اي عمل ادبي او مشاهدة اعمال تشكلية او افلام سينمائية لانها افضل بكثير مما ينتجه الدعاة الاخلاقيين البلداء الحس الذين يخضعون النصوص وكل النشاطات الانسانية لاهتماماتهم الشخصية بصورة مطلقة ويمنعون الخيال واعادة التخيل ويحرمون مناقشة الدلالات باعتبارها مسلمات مقدسة غير قابلة لاعادة التخيل ضمن افق القراءة والتلقي وبهذا وأد لجمالية العمل التي تستدعي افق القراءة او التلقي التي تخضع لخلفيات المتلقي وخبرته الجمالية ومخيلته اولا واخيرا .

ومن هنا ان مهمة الناقد ليس وعظية او دعوية بل هي بحث في مكامن النص الذي يعتبر اساس الخبرة الجمالية ومصدرها كما يقول الناقد البريطاني " كلايف بل ":

" عندما نحاول ادراك العمل الفني جماليا يجب علينا ان لانتذوق او نقيم العمل الفني من وجهة نظر اهتماماتنا الشخصية واعتقاداتنا او عواطفنا او تحيزاتنا الثقافية بل من وجهة نظر العمل نفسه ، وبناءا على الصفات او الكيفيات الكامنة في الشكل الدال . فالشكل الدال وحده هو اساس الخبرة الجمالية ومصدرها بعبارة اخرى ان نتذوق العمل الفني موضوعيا في ذاته ولاجل ذاته .. وهذه هي النزاهة الجمالية"

وتذهب الدكتور "أميرة حلمي مطر" ابعد من ذلك في "مدخل لعلم الجمال وفلسفة الفن " بالقول :

"مما لاشك فيه ان الفن الخلاق ، لابد له من الالتزام بقيم الحق والخير ولكنه ليس دعوة ولادعاية او موعظة فهناك فرق كبير بين الفنان والواعظ ولهذا تدور جملة اسئلة حول هذه المشكلة .. كيف يرتبط الفن بالخير الاخلاقي دون ان يتحول الى وعظ او إرشاد"

اذا من هذا المنطلق يسعى الناقد بصفته قارىء حصيف وعليم لان يكون على اعلى قدر من النزاهة الجمالية في التقييم وان تبدو المهمة معقدة لابعد الحدود في التحقيق لكنها ليست صعبة المنال في ضوء التناقض الظاهر ، مثل تناقض بنية العمل ذاته - في بنية نمطية "ثابتة" واخرى مادية "متغيرة .".ومن هنا نجد تعدد القراءات ونصب أعينها ان تحقق اكبر قدر ممكن من" النزاهة الجمالية "وهذه

مهمة ملقاة على عاتق الناقد الحاذق الذي يسعى ويجتهد للوصول الى مكامن النص بوعي جمالي وفكري - رؤيوي ليدهشنا كما تدهشنا الاعمال الابداعية المكتنزة بالفن والجمال بابهار واثارة ودهشة اعتمادا على خبرتنا الجمالية ايضا ....يتبع